بشيء يدلك على اثرها ، لانها لم تبق عامرة بعد وفاة المتوكل ولا سكنها احد بعده . قال اليعقوبي « وولى محمد المنتصر بن المتوكل (يعني بعد وفاة ابيه) فانتقل الى سر من رأى ، وامر الناس جميعاً بالانتقال عن الماحوزة وان يهدموا المنازل ويحملوا النقض الى سر من رأى فانتقل الناس وحملوا نقض المنازل الى سر من رأى وخربت قصور الجعفري ومساكنه واسواقه في اسرع مدة وصار الموضع موحشا لاانيس به ولا ساكن فيه ، والديار بلاقع كانها لم تعرف ولم تسكن . » فهذا هو السبب الوحيد لاهمال ذكر الجعفرية وعفاء رسمها وادراس اثرها . — ويوجد اليوم في تكريت قوم يعرفون (بالجعافرة) والبعض يسميهم (بالجعفرية) وتظن جماعة من اهل العراق انهم بقية من بقايا اولئك القوم الذين نزلوا الجعفرية ايام المتوكل وبقي هذا الاسم عليهم . — والحقيقة انهم ليسوا كما يظن بهم ، بل هم من ولد رجل اسمه جعفر وقد انتسبوا اليه وهو جدهم الخامس .

الى هنا ينتهي ما كان في غرضي سامر آه من الاطلال الدوارس المعروفة الاسماء عند اهل تلك الديار . وهو فوق كل علم عليم

كاظم الدجيلي

مغاصات اللؤلؤ

ان برزخ بناما الواقع في العالم الجديد كان في حين من الزمان زاهراً

مملوءاً بالاصداف النفيسة حتى ان سفيل Seville جلب فى سنة واحدة كمية وافرة جداً من اللؤلؤ وكان بينها لآلئ حسنة ذات قيمة عظيمة نادرة الوجود ولكن واهاً على تلك الاراضى الجميلة المزدانة بانواع الاشجار فقد اصبحت خراباً بعد ان كانت زاهية وذلك اثر ما اتاه فريق من بنى البشر من التعديات الفظيعة على سكان تلك البقاع الضعفاء المساكين الذين كانوا يقاسون من الذل والهوان ، ما تقشعر له الابدان ، وينفر من سماعه الانسان .

فكم من هندى صار هدفاً لسهام المسيطرين الذين دوخوا تلك الربوع عندما اكتشفها كولمبس العظيم ، وكم منهم لم يعط قوت يومه فكان يطوى نهاره وليله صائماً خائر القوى ، وكم منهم صار فريسة سائغة لكلاب الماء وتماسيحه المفترسة . وكم منهم ضربه سيده سياطاً ذلك السيد الفاقد المروءة والشهامة حتى مزقت لحمانه واسالت دماءه ، وكم منهم انزل رغم انفه ليغطس فى البحر ويستخرج الجواهر المدفونة فى قعره فغاص مضطراً كارهاً ولم ير نور الشمس ثانية تخلصاً من العذابات الاليمة والقصاصات الشديدة ، وكم منهم هرب ولم يوقف له على اثر ، وكم منهم نجا بنفسه تاركا وراءه عائلته المحبوبة تتضور جوعاً ، وكم من الاطفال والنساء العاجزات لعبت بهم ايدى العبث والفناء .

فشطوط اللؤلؤ تجردت هناك من اصدافها رحمة باولئك الاقوام التعسى الطالع وانتقاما من ذوى المطامع الاشعبية الذين همهم الوحيد فى هذه الدنيا جمع الاموال ولو سبب ذلك انقراض القبائل والشعوب

الضعيفة ودمار الامصار العامرة وخرابها .

ولحسن الحظ لم يحدث عندنا في الشرق ولا في غيره ما حدث عند اخواننا في العالم الجديد من الضغط والعبودية الجائرة . وعليه فمغاصات اللؤلؤ والمرجان لم تزل حتى يومنا هذا زاهية بالاصداف البديعة وهذه المغاصات هي في بحر هولاندا وخليج المكسيك وشطوط اليابان والخليج الفارسي وجزيرة سيلان وقد وصف الاخيرة منها بلينيوس Plinius الروماني العالم بالطبيعيات ذائع الصيت صاحب كتاب علم المواليد المشهور «HistoriaNaturalis» منذ الفي سنة تقريباً بقوله « جزيرة ذات ذهب خالص ولآلئ لا نظير لها . جزيرة يغشاها النخل الذي لا يموت . جزيرة هي كالملكة جالسة على عرش المياه الساطعة باشعة الشمس . جزيرة من غياضها تفوح رائحة القرفة الذكية ومن غاباتها تتضوع الارجاء بشذا عبير اطيابها العطرية » .

ان اكبر مغاص للؤلؤ في جزيرة سيلان هو الشواطئ التي تمتد عنها نحو عشرين ميلا فيراها الانسان مقفرة طول السنة الا في شهري شباط واذار فيوجد فيها من طلاب الكنوز النفيسة والجواهر الثمينة اقوام شتى مختلفة اللغات متباينو الدرجات قد اتوا من ممالك ومدن عديدة وجميعهم ساعون لغرض واحد وهو احتكار اللؤلؤ . فهناك التاجر والمسافر والكاتب والعامل والغواص الوطني الخ .

اما كيفية استخراج اللؤلؤ هناك فهو عندما تجنح الشمس الى مغاربها يطلق مدفع اشارة الى انزال القوارب في الماء ومباشرة العمل . وفي كل قارب

نحو عشرين رجلا، عشرة منهم تجذف والعشرة الثانية تغطس متناوبة .
اما الغطس فلا يبدأ الا حينما يقتنص بازى الضوء غراب الظلام .

وفى اسفل كل زورق خمسة احجار حمراء . وفى وسط كل منها ثقب فيه حبل متين فاذا غاص الغواص يضع قدمه اليمنى بثبات على الحجر ويتمسك بالحبل فيهبط حالاً الى قعر البحر ومعه سلة او كيس مربوط حول عنقه ثم يأخذ بجمع الاصداف التى حواليه بسرعة تحاكى وميض البرق بدون ان يلتفت يميناً او شمالاً خوفاً من رؤية عدوه الازرق . واعلم ان بعض الغواصين يبقون تحت سطح البحر دقيقة واحدة وآخرون دقيقتين وغيرهم ثلاث دقائق أو اربعاً أو خمساً الخ الى ان تضيق بهم الحال فيحركون الحبل الذى بيدهم اشارة الى اكتفائهم بما لديهم والى ضيق ذرعهم فيسرع رفقاؤهم الذين فى القارب الى جذبهم الى فوق .

وكل من يبقى تحت الماء اكثر من اللازم يصاب غالباً بآفة فى بدنه حتى ان اغلب الغواصين، المراقل كلهم، حينما يرفعون الى وجه البحر يرعفون بل ربما تسيل الدماء من افواههم وآذانهم ولكن قل من يفتكر منهم بهذه المسئلة الخطرة. اما الذى يخيفهم ويفزعهم هو ذلك العدو الالد اعنى به القرش او الكوسج لا غير . هذا وكل من الغواصين يغوص فى اليوم من اربعين الى خمسين مرة تقريباً واذا امتلأت القوارب يقفل اصحابها راجعين الى الشواطئ حيث يفرغون الوسق ثم يستأنفون العمل على هذه الصورة يومياً الى ان ينتهى فصل استخراج اللؤلؤ .

اما استخراج اللؤلؤ فى الكويت والبحرين وفى ثغور خليج فارس

فهو فى كل سنة يزداد ازدياداً باهراً وينمو نمواً عظيماً على ماذكره عبد العزيز افندى ابن احمد الرشيد البداح الكويتى وقد قال : « ان تعبه عظيم ، ونصبه جسيم ، وتقسم سفنه قسمين : قسم يكون صاحب السفينة هو الذى يعطى البحرية مايحتاجون اليه من الدراهم ويكون اعطاؤها اياهم منجماً ومرتباً وذلك قبل السفر وبعده : فما قبل السفر يسمى فى اصطلاحهم سلفاً وما بعده تسقاماً . والغالب ان من اخذ بهذه الصفة تحسب عليه العشرة اثنى عشر ، فاذا اعطى صاحب السفينة للبحرية بهذه الصفة يكون له خمس قيمة اللؤلؤ ونصف الخمس لاجل السفينة . والنصف الاخر لاجل اعطاء الدراهم . والقسم الثانى ان يعطى صاحب السفينة سفينة لقوم يسافرون فيها ولا يعطيهم شيئاً من الدراهم فبهذا القسم يكون لصاحب السفينة نصف خمس قيمة اللؤلؤ لاجل السفينة وهذا القسم قليل اذ الغالب هو القسم الاول . واما من حيث البحرية فقسمان ايضاً قسم يباشرون استخراج اللؤلؤ بانفسهم ويسمون هؤلاء فى اصطلاحهم غاصة . وقسم يباشرون فيه الغوص على حساب غيرهم .

واما كيفية الغوص فانواع : نوع يغوص الانسان به بحجر فى عنقه شبه الزبيل يجعل فيه الصدف المستخرج من البحر . ونوع يغوص الانسان وفى رجله حجر فاذا وصل الى الارض نزعه من رجله ثم مضى لاجل الصدف وليس معه حبل . ثم اذا ضاق نفسه خرج ، ونوع يغوص الانسان وفى رجله حجر ومعه حبل فاذا وصل الى الارض نزع

الحجر من رجله ومضى ومعه الحبل وقد شد طرفه بالسفينة فاذا اراد الخروج حرك الحبل فيشعر به من فى السفينة فيجره . والقسم الثانى اناس فى السفينة يباشرون استخراج الاحجار التى يغوص فيها الغائصون ويباشرون ايضاً جر الغائصين فى النوع الثالث وهؤلاء يسمون فى اصطلاحهم « سيوب وارضفة » فالسيب له ثلثا الغائص والرضيف له نصف الغائص . واما اللؤلؤ الحاصل فى ايدى الغواصين فغالب المشترى له تجار اهل الكويت . فتارة يبيعونه فى البحر وتارة يسافرون به للهند . ويبتدئ سفر الغواصين عند ابتداء دفء البحر ورجوعهم من السفر عند ابتداء برودته . فمدة اقامتهم فى البحر اربعة اشهر الا انهم فى اثناء هذه المدة يمضون للعبرى او القطيف أو دارى لاجل الراحة والقضاء بعض الحاجات ورواحهم . هذا فى كل شهر مرتين . فاستخراج اللؤلؤ من البحر هو الاصل الاصيل لاهل الكويت .

والموضع الثانى الذى اريد ان ابحث عنه هو مغاص البحرين الواقع فى خليج العجم فانه مشهور منذ الازمنة العريقة فى القدم وهو اكبر مغاص لؤلؤ فى العالم على الاطلاق وقد قدر مايستخرج منه سنوياً بربع مليون ليرة استرلينية .

رزوق عيسى

(باب المشارفة والانتقاد)

١ كتاب ارشاد الاريب ، الى معرفة الاديب ،
المعروف
بمعجم الادباء او طبقات الادباء لياقوت الرومى